العربيةُ لسانُ الهويّة، الأمن اللّغوي والوعي المستقبلي

شفيقة العلوي
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (لجزائر)
chalaloui@gmail.com

Abstract :

The arabic language is become today an important and necessary element wich can build the individual and human personality and persist the citizenship.Italso could impose cultural, human and political security.So, nobody doubt that a language is a science and stratigical weapon that will accomplish its roles if peoples understand really its value.

Key word :language-language and identity-cultural security- political and geographical security

Resume :

La langue est devenue aujourd'hui un élément important qui aide à construire la personnalité individuelle et sociale et persiste la citoyenneté, donc elle impose la sécurité culturelle, sociale et politique. La langue est un art, une science et une arme stratégique qui pourra jouer un grand rôle dans la construction de l'avenir.

Les mots cles : la langue- la langue arabe et l'identité- securité culturelle-securite politique et geographique

الملخص:

إنّ اللّغة العربيّة – اليوم – تعدّ عاملا رئيسيا يُساهم في بناء الشّخصية الفرديّة والجماعيّة، ويحفظ الهويّة، ويحميها من الانسلاخ والذوبان في الآخر. وبهذا، يُضمن الأمنُ الثقافي والاجتماعي والسّياسي للشّعوب والدّول. وتستطيع أن تؤدي أدوارها وتفعّل كينونتها .

إنّ اللغة فن وعلم وسلاح استراتيجي في يد من يدرك وظائفها وأدوارها. إنها تصنع الفرد والمجتمع .

الكلمات المفاتيح : اللغة – اللغة العربية والهوية – الأمن الثقافي – الأمن السياسي والجغرافي

مقدمة

تعتبر اللّغة عاملا رئيسيا من عوامل تحقيق الشّخصية الفرديّة والوطنيّة والقوميّة على حدّ سواء . وذلك لأنّها فنٌّ وعلمٌ وسلاحٌ استراتيجي، يبني المجتمع ويضمن بقاءه واستمرار حضارته عبر الزّمان. فباللّغة يقوم الفرد ويصلح المجتمع بصلاحه، فإنّ سقطت اللغة عن لسان الفرد ونأى عنها في الاستعمال اليومي وانحرف عن أدائها تهلهلت شخصيته وضعفت وتجاذبته الأطماع والإغراءات الخارجية.

إنّ اللغة أداة تفتّح وانفتاح على العلوم وتقنياتها الحديثة ووسيلة بناء تواصلي يكوّن المجتمع. إنّها علم وفنُّ صناعة الفرد.

1- وظيفة اللغة

- **اللّغة أداة تواصل إنسانيّ**

إنّ وظيفة النُّظم التّعليمية عند كلّ الشّعوب هي إعداد الفرد نفسيّا واجتماعيّا وفكريّا على حدّ سواء ليغدو قادرا على تحقيق الوظائف المنوطة به. واللّغة وسيلة ذلك. فهي التي تزوّده بالمعارف وتنقل إليه التراث الثّقافي والديني والتّاريخي بل الحضارة الإنسانيّة ككلّ. فيتمكّن من الانصهار في المجتمع والمواطنة فيه . فاللّغة نظام تواضعيّ تجريدي يشارك فيه أبناء المجتمع الواحد، وتؤثّر على طريقة تفكيرهم[1].

إنها نظام خاص من الأدلّة اللّغويّة (العلامات والإشارات) التي تمكّن الأفراد والجماعات من التّواصل والدّخول في علاقات إنسانية وممارسة العادات الكلاميّة، إنهّا مخزون في الذّاكرة يمارسه الفرد حسب ذكائه لتلبية حاجاته اللّسانية . إنّها – كما يرى هنري سويت – التّعبير عن الفكر عن طريق الأصوات اللغوية[2].

فاللّغة– إذًا – نظام اجتماعي ينتقل من جيل لآخر، يعكس العادات والأعراف والتّقاليد، وعلى هذا، فهي موجودة بالقوة.

فنحن، – حسب دسوسير–**(نكتسبُ اللّغة من أفراد المجتمع المحيطين بنا، وهم يلقنونا إياها، ونحن نتعلمها منهم... يكتسبها الطّفل في البيت، أو يتعلّمها في المدرسة...)**[3].

- **اللغة هويّة وانتماء**

إنّ اللّغة أداة بناء أو تدمير. فهي تصنع الذّات والفكر، أو تزلزل الكيان الاجتماعي وتهدّمه، ولذلك ظلّت اللّغة قضية اجتماعيّة تربك المجتمعات والنّظم السّياسية والحكومات، تأسر قراراتها وتوجّهها.

إنّ اللغة رمز الكيان القومي والسّيادة الجغرافية، والوحدة المجتمعية. وهي ذاكرة الأمة وتراثها التليذ وحضارتها المستقبليّة . فاللغة – كما يتصوّرها الألماني هردر– مستودع الشّعوب تخزّن فيه الفكر والتّقاليد والأعراف والتّاريخ والفلسفة والدّين **(فقلبُ الشّعب ينبضُ في لغته .وروحه تكمن في لغة الآباء والأجداد)**[4] التي تربط الأواصر فتعكس الانتماء، وتحقّق لهم الوجود والهوية.

إنّ اللّغة مؤسسة اجتماعيّة إنسانيّة، حضاريّة ينصهر فيها الفرد والجماعة، ويمارسون سلوكاتهم باللغة الأمّ . فيحفرون جذور التّاريخ بمعاول لسانية .فإذا وُجدت اللّغة وُجد العالم، وإذا وُجد العالم كان التاريخ وكانت الحضارات... ولقد صدق الفيلسوف الألماني هيدجرُ حين قال: **(إنّ لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي ... وهي معالمه وتضاريسه، ومن خلال عيونها أنظر إلى بقيّة أرجاء الكون الفسيح)**[5].

فاللّغة – واللّغة العربية على وجه خاص مادمنا أبناء هذا اللّسان – تعدّ مقوّما أساسيا من مقوّمات الوجود . فهي بمثابة الدّم الذي يسري في الجسد . والخصوصيّة التي تُمايز بين المجتمعات وتفعّل وحدتها السياسية واستمراريتها

وتثمّن تراثها. فلا وُجود لأمّة ولا أمل في ثورة كاسحة أو انفتاح علميّعولميٍّ الأفق إلا إذا مكّنت الشّعوب للغتها وفعّلتها داخليا وخارجيا من أجل اللّحاق بالأمم المتطوّرة والثّبات على الخصوصيات الصانعة لهوية الأمّة ووجودها[6].

إنّ اللّغة تبني كرامة الأفراد والشعوب وتغرس فيهم قيمَ احترامها وصيانتها .ومن حقّ كلّ شعب أن يحفظ لسانه ويُنمّيه ليتحقّق له الوجود في ظلّ هيمنة العولمة الجديدة التي تفرض على المجتمعات الضعيفة معاييرها الخاصة ومبادئها النّفعية، وأطماعها الاستيلابية، فينسلخ الفرد عن مجتمعه، ويتمزّق كيانه، ويفقدُ الشّعور بالانتماء ويغدُو متردّدًا بين قيمه ومُثله التي تشدّه إلى حضارته وبين مسايرة عالم جديد قد يغذّي عقله وينمّي معرفته، ولكنّه سيسلبُه الروح المستقلة والقدرة على التّفكير الإبداعي والمواجهة العلميّة والمسائلة الفكرية. ونظرا لهذه الأهميّة الكبرى التي تحتلّها اللّغة لسانُ الأمة في تكوين الفرد وبناء المجتمع، فقد نادت التّربية الحديثة – اليوم – بوجوب العناية باللّغات القوميّة الوطنيّة للطفل في المدرسة، بحيث يجب أن تحتلّ مركز الصدارة، وتكون الأهمّ ضمن البرامج التعّليمية البيداغوجيّة التي يكتسبها . وأن يتمّ التّعليم القاعدي (أي الأساسي) بها لا بغيرها من اللّغات الأجنبية أو اللّهجات المحليّة[7]. ومن هنا، يمكن الدّعوة إلى التّمسّك باللّغة و – بالعربية الفصيحة بوجه خاص –لأنها **(محور ثقافتنا وعنوان هويّتنا وانتمائنا باعتبارها اللّغة الأمّ الموحَدة والموحِّدة... إذ لم يعرف العالم نهضة أمّة من الأمم بغير لغتها القوميّة... أيَّ كانت هذه اللّغة .والدّولة التي تفرض على الشّعب التجنيد الإجباري لردّ الغزو المادي مع احترام حقوق الفرد وحريّته لا يحق لها فقط بل يجب عليها أن تفرض عليه أيضا التربية الصحيحة لتحصّنه من الغزو الروحي، وتضمن له الاستمرار والخلود.وكلّ تربية صحيحة سليمة لا تقوم إلا على أساس اللّغة القوميّة الأصلية التي هي القوة الطبيعيّة الأدنى للأمّة)**[8].

- **اللغة وحدة دينية**

تعدّ اللّغة–والعربية بوجه خاص – هويّة موحّدة لأبناء المجتمع، فهي اللّغة الأمّ التي وحّدت بين العرب في جاهليتهم وجمعتهم تحت راية قريش. ولمّا جاء الإسلام وانضوت فيه الشّعوب على اختلاف مِللها ونِحَلهم غدا القرآن السّياج الذي يحفظ اللّسان العربي من الضّياع ويصونه من الاضمحلال ويمنع أبنائه من الانسلاخ عن الذّات **(نحن أمّة لأنّا وحدة روحيّة لنا بلاد نقطنها وتاريخ نرجع إليه ولغة حيّة نتكلّمها... وإرادة تحملنا على السّير في سبيل الوصول إلى ما نأمل)**[9].

إنّ اللّغة توثّق صلة العبد بخالقه **(ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله)**[10]، وتدفع الإنسان إلى صنع ما هو أفضل وإنتاج الأمثل. وتحمل برصيدها الثري قيما تتصّف بالصدق والحقّ والمساواة والأخوة والعدل والتسامح، فيسمو بها الفرد وترقى المجتمعات وتكون لها الغلبة على جميع الأصعدة.

- **اللغّة أمن ثقافيّ عالميّ**

إنّ هيمنة اللّسان على الشّعوب أقوى من أيّ سيطرة سياسيّة أو عسكريّة .إنّ اللّغة ثقافة وتوَحُّد فـ **(الذين يتكلّمون لغة واحدة يكوّنون كلاّ موحدّا ربطته الطبيعة بروابط متينة، وإن كانت غير مرئية، ومن هنا كانت اللّغة هي الهدف الرئيسي عند المستعمرين الطامعين في استعباد الشّعوب ومحاولة السّيطرة عليها. ولن يتحوّل الشّعب أوّل ما يتحوّل إلا من لُغته، إذ يكون منشأ التّحوّل من أفكاره وعواطفه وآماله.وهو إذا انقطع عن نسب لغته انقطع عن ماضيه ورجعت قوميته صورة محفوظة في التّاريخ لا صورة محقّقة في الوجود)**[11].

إنّ الدّعوة إلى التّمسّك باللّغة هي دعوة إلى التّحصّن بثقافة الأمّة وقيمها وحضارتها **(فاللّغة هي أمارة على شخصيّة الأمة وذاتيتها الثّقافيّة، ولا تتجلّى الذّاتية الثّقافية لأيّة أمّة إلا عبر لغتها . لأنّ الذّاتية الثّقافيّة تتمثّل في التّراث الفكري والرؤى الحضاريّة للمجتمع)**[12].

فإذا أسرَتنا اللغة بأبعادها الداخليّة والخارجيّة، بقوالبها التّجريدية وبمعانيها وتراكيبها الثّريّة، بقوة منطقها ورقّة أساليبها ، برصيدها المعجمي المتنامي والمُواكب للتقنيات الحديثة والتنمية المستدامة، تمكّنت – حينئذ – الشّعوب من أمنِها وحمت ثقافتها من أي غزو فكريّ خارجي تكالبِي أو تبعيّة أجنبيّة **(واعلم أنّ لغات أهل الأمصار إنمّا تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين)**[13]. وها هي العربيّة حين كانت قوية بدينها وأبنائها – زمن انتشار الإسلام والفتوحات – غدا التّأليف لا يتمّ إلا بها. وأمّا البحث فيها وفي ألفاظها وأصواتها ومعانيها فاعتزازٌ وافتخارٌ. وهو ما أكدّه علماؤنا القدامى، إذ يقول البيروني **(والهجوُ بالعربية أحبُّ إليّ من المدح بالفارسيّة)**[14].

ولم يكتف الآخرُ– الغربُ – بترجمة مؤلفات العرب المتنوعة كمؤلفات ابن رشد وابن سينا والرازي والخوارزمي وابن خلدون... الخ. بل نقل أيضا مؤلفات اليونان التي ترجمها العرب ككتب الفارابي وأرسطو **(والحق إنّ القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني في القديم إلا من ترجمتها إلى لغة أتباع محمّد، وبفضل هذه التّرجمة اطّلعنا على محتويات اليونان... فكتاب فن الشّعر لأرسطو لم تعرفه أوروبا إلا عن طريق تلخيص ابن رشد الذي ترجمه المستشرق الألماني هرمن في القرن 13 للميلاد)**[15]. إنّ اللغة تنقل المعارف وتغرس في الناشئة حبّ التّراث الثّقافي والاجتماعي وحبّ التمسّك والاعتزاز به، وبهذا يكون للأمّة والجماعات كيانهما وتماسكهما وشخصيتهما المتميّزة المستقلة **(إنّ التّاريخ يحتم علينا أن تكون اللّغة التي نتعلّم بها هذا التّراث هي اللغة التي تُبقي على هذا التّراث وتحافظ عليه، وتعمل على نشره وازدهاره وأعني بها العربية)**[16]. فاللّغة تكوّن الناس أكثر مما يكوّنها الناسُ، وتصنع العقولَ والأفكار والقيم أكثر ممّا تصنعها العقولُ والأفكار.

فهي تؤسّس لفكرهم ووعيهم. فالأشخاص الذين ينطقون بألسن متباينة فإنهم يرون العالم بكيفيات مختلفة؛ ولذلك أصرّ إدوار سابير على ضرورة عدم فصل اللّغة عن الثّقافة والأنماط السلوكية للأفراد **(فاللّغة جزء أساسيّ من هذه الثّقافة بل أحد مكوّناتها الأساسيّة... إنّها باستعمالاتها... حلقة اتصال في نشاط بشريّ جماعيّ... إنّها نمطٌ من العمل)**[17]، وتمكين الذّات وصناعة الإنسان وفكره، وصون له من الأطماع الخارجية، وتأكيدٌ لتفوّقه الذي يتجسّد فعليّا حين يُصبح التّراث الثّقافي الوطني/القوميّ أساسا في التركيبة الثقافية للمجتمع . فهو يوقظ فيه الإحساس بالمسؤولية وبمعالم الشخصية الوطنيّة السّيادية أو يحول دون انصهاره في الآخر الدّخيل.

وإذا كانت اللّغة تصنع الأمن الثّقافيّ للشّعوب، والأفراد، فإنّها أيضا طريقٌ لتحقيق :

1- الانفتاح الكامل والواعي لشخصيّة الإنسان أيًّ كان.
2- تغذية عقله وتوسيع دائرة إبداعه الماديّوالمعنويّ[18].
3- تمكينه من التّعبير عن ذاته في ظلّ عولمة الفكر والثّقافة.

إنّ العولمة الثّقافيّة – التي جعلت الشّعوب وكأنها قرية صغيرة تحركّها التّقنيات العلميّة الحديثة ومحتواها الرقمي – تدفع الشّعوب والأمّة العربية بوجه خاص إلى أن تعزّز دور اللّغة حتى تمكّن لاقتصادها المعرفي **(ومن المنتظر أن يتعاظم هذا الدور مع اتساع مجالات المعلوماتية في تطبيقاتها التّعليمية والثّقافيّة. ومن هنا يعدّ التّخلّف اللّغويّ تنظيرا وتعلّما واستخداما ومعالجة آلية بواسطة الحاسوب من الأسباب الرئيسيّة للفجوة الرّقمية .وهذا يفسّر ما تبديه شعوب العالم حاليا من اهتمام شديد بلغاتها القوميّة فيما يتعلّق بشبكة الانترنت أو إحياء فنون لغتها وعلومها وتمكين لسانها في المحافل الرسمية والمنشورات الحكومية والإدارية)**[19].

إنّ في وحدة اللّغة توثيقٌ لأواصر التّواصل الثّقافي والاجتماعي للشّعوب، وتمكينٌ لهيمنتها **(فالثورة الرّقمية تتيح فرصا وتحديات للحكومات العربيّة للنّهوض السّريع بمجتمعاتها واقتصادياتها على أسس متينة لتثبيت الحداثة والإصلاح)**[20] فلا تُصادرُ الضّمائر أو مناهج التّفكير وآليات الإبداع ولا يُزلزل عرشُ المستقبل.

- **اللّغة تبني الوعي بالمستقبل:**

إنّ المتأمّل في اللّسان البشري يلحظُ خاصيّة تتميّز بها اللّغة – والعربيّة بوجه خاص – وهي امتلاكُهـا لقـرائن تمكّنها من مخاطبة المستقبل والتّعبير عنه في نطاق عالم الحياة الاجتماعية التّواصلية التي يعيشها بنو البشر. إنّ اللغـة كائن حيٌّ يتغيّر عبر الزّمان **(والعالم يبقى كما هو من النّاحية الطبيعية الماديّة الفيزيائيّة ولكنّه يصـبح عالمـا آخـر مغايرا في الوعي البشريّ)**[21].

إنّ الإنسان أسير اللّفظ . فهو منذ اكتسابه للغته الأمّ اكتسابا جبريا لا شعوريا، يكتسب من خلالها أيضا تفكيـره النّوعي المتميّز ورؤيته الباطنية العميقة للعالم الذي يحيط به.

ومن هنا، يمكن الجزم بكلّ ثقة بأنّ اللغّة العربيّة – على خلاف اللغات الإنسانية – تملك قوانين داخليّة تعكـس الوعي المستقبلي لمتكلميها، ويظهر ذلك من خلال:

I- تمييز النّخبة المثقفة وأهل الاختصاص بين أنواع الفعل المضارع باعتبار الزمن والقرائن المتّصلة به، فيقسّم إلى:

1- المستقبل القريب إذا اقترنت به سين (سأكتبُ).

2- المستقبل البعيد إذا اتصلت به سوف (سوف أكتبُ).

3- الحاضر الحال إذا تجرّد من تلك القرائن نحو: (أكتبُ ، أغادرُ...).

فاللّغة الإنسانيّة – والعربيّة بوجه خاص –**(في مقدورها أن تشير إلى أشياء وأحداث بعيدة عن المـتكلّم زمانـا ومكانا... يمكن الإشارة إلى أشياء غير موجودة في المحيط القريب، وغير منظـورة أو ملموسـة أو مسـموعة أو محسوسة . ويمكن أن تبعد آلاف بل ملايين الأميال عن مكان المتكلّم، كما أن اللّغة يمكن أن تشير عن طريق الأفعال إلى الزمن الماضي أو المستقبل)**[22]، وبما أن اللّغة لا تنفصم عن الفكر، فهذا يؤكّد – حتما – فرضية حضور الـوعي المستقبلي في اللّسان العربي.

II- ومن مظاهر الوعي بالمستقبل في اللّسان العربي أفعال الدّعاء التي تتحقّق بصيغتين متباينتين في الزمـان همـا: "حفظك الله" أو "يحفظك الله". فكلتا العبارتين تؤديان القصد في العربية وهو الأمل بالاستجابة سواء أوردت في الماضي، أو انتقلت إلى صيغة المضارع **(كأنّ ما يرجى أن يكون قد كان وأصبح من المحقّق المستجاب، ولاشكّ أن هذا المعنى مقصود، لأنّه لم يأت من عجز في اللّغة)**[23].

فالزمان ليس أصماً، إنّه مفتوح على الماضي والحاضر والغد بأبعاده وتقسيماتهالتي تأسِـر الفـرد والجماعـات وتجعلها تتحرّك في دائرته.

إنّ اللّغة تصنع ملكة الوعي عند الإنسان فردا كان أو جماعة وتؤهّله لمعرفة الذات، وتحدّد نظرته إلـى العـالم وتؤثر في سلوكاته**(فاللّغة وسيلتنا الأساسيّة لنقل المعلومات في المجتمع البشري .ولكنّ اللغة قادرة على ما هو أكثـر من ذلك إذ يمكنها أن تصوغ العالم أو بمعنى آخر... إنها بمثابة منشور تحليل الطيف الذي ننظر إلـى العـالم مـن خلاله)**[24].

ليست اللغة مجردّ أصوات وألفاظ يعبّر بها الفرد والجماعات عن أغراضهم ويكشفون عن مقاصـدهم، وليسـت مجرد دلالات ومعان، وإنّما هي أكثر من هذا؛ إنها فعلا الإشارات الصّوتيّة التي تصدر عن الجهاز النّطقي والإشارات الرّوحية التي تُومىء إليها النّفس والحركات التي تقوم بها الجوارح والألوان التي تعكس النّفوس الداخليّـة والعلاقـات والمراسيم ومختلف الاصطلاحات التي تترجم فكر الجماعات في مختلف شؤون الحياة التي تتميز بطابعهـا الإنسـاني التّواصلي **(إنّ لغتنا القوميّة هي لساننُا القوميّ... لساننا الجماعي... إنها ليست لهجة خاصة تمتاز عن غيرها بأنهـا لهجة الطبقات العليا... إنها كلّ اللّهجات التي يتلاغىبها المواطنون... في الوطن العربي الكبير...تعبّـر عـن فعـل**

الجماعة وفكر الجماعة ووجدان الجماعة)[25] . فكلّ لغة إذًا **(تحلّل العالم وفق طريقتها الخاصة وتفرض على الجميع هذا الطراز من التّحليل وإدراك العالم)**[26] ومعرفة الذات والوعي بالمستقبل[27].

- **اللغة تنمية وتفوّق:**

إنّ المجتمعات تتفاعل وتتقاسم الموروث الحضاري والثّروة المعرفية وتتبادل المناهج العلمية وتصدّرها للشعوب الضعيفة المغلوبة حتى يتحقّق لها التّفوّق على جميع الأصعدة **(واللّغة تحكي هذه العلاقات بما تأخذه من المجتمعات الأخرى، وبما تعطي هذه المجتمعات، وليست هناك لغة لم تأخذ من غيرها، ولم تعط غيرها، ولغتنا القوميّة قد أعطت اللّغات الأوروبية... كثيرا من الألفاظ الدالة على العلم والتجربة... واحتفظ بعضها بصورته العربية وإن دوّن بحروف لاتينية(*). وتمثل بعضها الآخر، وبقيت فيه دلائل على أصل العربي)**[28].

إن التطوّر الرّهيب للعلوم في القرن 20، شهد صراع القوميات وسكون الإبداع اللغوي وجمود رصيد المعجم العربي؛ على الرّغم من استمرار تطوّر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسّياسيّة. وعجزت النّخبة وأهل الاختصاص عن وضع تسميات لمظاهر الحضارة الصّناعية الجديدة. وبات لزاما على المجتمع العربي التّقرّب من هذه الحضارة حتى يستمر في وجوده الآني، ويؤسّس لمستقبله، فلا يبدُو عاجزا عن حكاية هذه الحضارة أو التّعايش معها. وبذلك يحفظ وحدته فلا يتزعزع كيانه، ولا يتشتّت إلى دويلات صغرى تسطو عليها ثقافة الغالب، وتسلبها كل شعور بالانتماء والهوية والسيّادة.

فاللّغة – إذًا – تحفظ أمن الشّعوب الاجتماعي والسّيادي وتصنع فكرهم، وتبني وعيَهم بالمستقبل، وتوجّههم نحو ما يجب أو ما يحسن أن يكون في الغد، فلا يبقى المتكلّم/المتلاغي أسير اليوم–الحاضر فقط، أو يتيه في التّاريخ والماضي، بل يرنو للمستقبل بعيون يقظة وجوارح شاعرة وعقول عارفة ومشبّعة بالمعرفة المستدامة.

إنّاللغة تعدّ – بلا مراء – وعاءً للعقل وسياجا يحفظ أبنائها...

2 –واجبنا نحو اللّغة حتى تصبح وعاءً للعقل:

وحتى تستطيع اللّغة – والعربيّة بوجه خاص – تأدية هذه الوظائف، وتتمكّن من ألسنة وعقول أبنائها، فترسّخ وتؤمّن الثّقافة الوطنية/والقومية – في ظلّ العولمة التي تسعى لفوض لغة واحدة هي لغة المتفوّق اقتصاديا– لابدّ أن تعمد الجهات الوصيّة إلى:

1–تفعيل الثّقافة العربيّة حتى لا تضمحلّ الهويّة، وتذوب الشّخصيّة القوميّة والفرديّة أمام تحديات العولمة اللّغوية والإنتاج العلمي المتميّز للبلدان النامية(*) الذي فرض اللّغة الإنجليزية، فقد احتلت المرتبة الأولى، إذ تهيمن على 59 دولة؛ تليها الفرنسية التي يبلغ عدد الدول الناطقة بها 28 دولة.

إنّ اكتساح اللغة الإنجليزية للشّعوب، جعلها تهيمن بمفرداتها وقوالبها، فأمركت ثقافة البلدان وأثّرت في سلوكات الأفراد وأنماط حياتهم الاجتماعية وحتى مأكولاتهم (**)فلا بدّمن تعزيز الشّعور بالهوية الفردية والجماعيّة حتى تتمكّن الشّعوب من العيش في استقرار وأمن. واللّغة هي الأقدر على تفعيل هذا الدّور **(إنّ للغةفيالعالم أداة للهوية الإنسانية ، لا يمكن الاستغناء عنها من أجل مواجهة متطلبات الثّقافة المحلية والمحافظة على السّلوك الاجتماعي، وجعله يؤدي وظائفه تحت مختلف الظروف الاجتماعية)**[29].

2–تفعيل دور التّعريب والتّرجمة – في البلاد العربية – حيث تغدُو اللغة – والعربيّة بوجه خاص – لغة الفكر والعلم والحياة معا **(فليس تعريب التّعليم والبحث العلمي عملا لغويا أو علميا أو ثقافيا فحسب بل هو أبعد مدى. فهو عمل يقع في سياق حركة الإنسان العربي للتّخلّص من الجهل والتخلّف اللذين أورثته إياهما عهود الغربة التي نأت به عن موقعه)**[30].

3-وضع خطة استراتيجية شاملة (وطنية وعربية) ترمي لتمكين اللغة الأم في جميع المجالات التّربوية والثّقافيّة والإعلاميّة والاقتصادية، وعدم التلكّؤ في استصدار القرارات والمراسيم . وأن تتحوّل هذه القرارات إلى وسيلة ضغط في الإعلام حتى ينتشر المدّ التوسّعي للّغة الأمّ.

4-تمكين اللّغة الأم من الإعلان الإشهار والخطاب الإعلامي، وتعريب أسماء المحلات والمؤسسات الخدماتية والمراسلات الإدارية، وجعل اللّغة الأم مطلبا أساسيا وإلزاميّا لأجل الظّفر بالوظائف الحكومية أو الخاصة، وبذلك نضمن سيرورة اللغة وانتشارها الواسع وتفوّقها.

5-رسم سياسة لغويّة ترمي لتثمين لغة منشئ معيارية تتسّم بمفرداتها البسيطة لا المعقّدة، وجملها القصيرة لا المركّبة، وتنأى عن الوحشي. وتوظّف المصطلحات التي يستطيع القارئ البسيط إدراكها في زمانه –في ظلّ الثّقافة المتمكّنة في محيطه الداخلي والخارجي – لأجل الوصول باللّغة إلى الإثراء والنمو.

6-تفعيل دور الأقمار الصّناعية، فهي قادرة على ترقية اللّغة الأم، وتمكين استعمالها في مختلف البرامج، فيتعزّز – بذلك– الشّعور بالهويّة والوحدة الوطنيّة والقوميّة.

7-تشجيع البحث العلمي والتّأليف باللّغة الأم، بغية تحسين مردودية متكلّميها، وتعميق ملكاتهم اللسانية.

8-استبعاد العامية والألفاظ الأجنبية من اللّغة الرسمية الفصيحة.

فمن واجبنا – في عصر العولمة الثّقافيّة والاقتصادية – مواجهة التّشتّت اللّغويّ ومحاربة الانصهار في حضارة الآخر، ومقاومة الانسلاخ الذّاتي والجماعي؛ ولن يُتمكّن من هذا إلا إذا غدت اللّغة الأم – عنوانُ الهوية والوعي والسيادة – شيئًا مقدّسا والتلاغي بها شرفا لأبنائها.

إنّ الحفاظ على الهويّة لا يعني الجمود والسّكوت بل هو دعوة أيضا للانفتاح على ثقافة الآخر، انفتاح اليقظ لا الأعمى، انفتاح المبدع لا المقلّد فحسب، انفتاحا لا يكون على حساب تغييب لغة المنشأ / اللغة الأم أو تهميشها.

هوامش المقال:

(1) فاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1968، ص10، وتشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة ترجمة حمزة بن قبلان المريني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص46.

(2) ينظر الفكرة في ماريو باي: لغات البشر، ترجمة صلاح المغربي، دار توبقال، الرباط، ص130 وأيضا مدخل إلى علم اللغة، محمد عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، ص289 . وشفيقة العلوي : في المدارس اللسانية الحديثة – التنظير – المنهج والإجراء، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013، ص13–20. وهو الرأي نفسه الذي يذهب إليه ابن جني حين يقول: "اللغة أصواتٌ يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم" ينظر: سرّ صناعة الإعراب، تحقيق لجنة من الأساتذة ومصطفى السقا، القاهرة، 1954، ج1، ص4.

(3)محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص300.

(4) محمد أحمد السيد : اللغة العربية وتحديات العصر في التعريب، مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة، دورة 2008/74، ص9–10.

(5)نفسه، ص14.

(6) زكي نجيب محمود :تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1971، ص32.

(7) تركي رابح : أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص330.

(8)محمود السيّد: اللغة العربية واقعا وارتقاءً، وزارة الثقافة، دمشق، 2010، ص124، بتصرّف.

(9)مجموعة مؤلفين: اللّسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات، الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص147.

ويراجع أيضا:

Jean Louis Calvet, linguistique et colonisation, Paris, Payot, 1974, P.11

(10)سورة فصلت – الآية 33.

(11) مصطفى صادق الرافعي : من وحي القلم، دار المعارف، مصر، ج3، ص126، وأيضا: نقولا زيادة، العروبة في ميزات القومية، دار الثقافة، بيروت، ط5، ص25.

(12) شحادة الخوري : واقع اللغة العربية عربيا ودوليا، مجلة التعريب، العدد 21، 2001، ص30–31، وأنظر أيضا: عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1988، ص28–29.

(13) ابن خلدون : المقدمة، الدار التونسية للنشر، 1984، ج1، ص457–459.

(14) ج. لابوف : حضارة العرب، دار الفكر العربي، بيروت، ص567.

(15)نفسه، ص568.

(16) جورج شهلا : الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1976، ص73.

(17) جفري سامسون : المدارس اللسانية، التسابق والتطوّر، ترجمة محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، 1997، ص238–240.

(18) ينظر مجلة الخطة الشاملة للثقافة العربية، تونس، 1990، ص61–63.

(19)علي محمد رحومة : مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي، الجامعة المغاربية، طرابلس، ط1، 2007، ص45.

(20) أبو السعود إبراهيم : المحتوى الرقمي العربي، المؤتمر الوطني لصناعة المحتوى الرقمي العربي، دمشق، حزيزان، 2009، ص21

[21] شوقي جلال : الأصوات والإشارات، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1972، ص66-68.

[22]نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، 1980، ص149.

[23]عباس محمود العقاد : اللغة الشاعرة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1960، ص77.

[24]نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص223.

[25]عبد الحميد يونس : مجتمعنا، دار المعارف، القاهرة، ص 38-39.

[26]:نائف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص216 وزكي محمود نجيب : تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1971، ص119.

[27]عبد العزيز شرف : اللغة العربية والفكر المستقبلي، دار الجيل، بيروت، ص20.

[*]مثل لفظة مخزن (magasin)، والحناء (Henné)، والياسمين (Jasmin)، والقطن (coton)، فقد شابهت بعض الألفاظ الأوربية نظيراتها العربية في بنائها الاشتقاقي والصوتي. ينظر: مصطفى الشهابي، تأثير العرب والعربية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، 1963، مجلد 26، ص182.

[28]عبد الحميد يونس:مجتمعنا، ص41، وأيضا ج.لابوف: حضارة العرب، ص569، ونقولا زيادة، العروبة في ميزان القومية، دار الثقافة، بيروت، ط5، ص26-30.

[*] لقد حرصت بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا على إنشاء وزارة للفرانكفونية حتى تواجه العولمة اللغوية التي فرضتها الثقافة الأمريكية الإنجليزية والتوسع الاقتصادي والسياسي لهذا البلد، وبذلك تحفظ أبنائها وحضارتها وكذا مستعمراتها التاريخية من الذوبان والانصهار، ينظر، لويس كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتين، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2009، ص118 وما بعدها.

[**]لقد انتشرت للأسف في دول العالم الثالث ثقافة غذائية جديدة، تلونت بمفردات الحضارة الأمريكية مثل فاست فود – بريكفاست– ماكدونالد –تشيز،... الخ. وهنا مكمن الخطورة، لأنه يكشف عن انسلاخ أبناء الشعب من نظامهم الغذائي، واللاوعي بالحاضر والمستقبل على حدّ سواء.

[29]محمود السيد : اللغة العربية وتحديات العصر، وزارة الثقافة، سوريا، 2008، ص178.

[30] شحادة خوري : دراسات في التّرجمة والمصطلح والتعريب، دار الطليعة الجديدة، سوريا، 2001، ج1، ص168.

المراجع والمصادر:

- سورة فصلت: القرآن الكريم.
1- ابن خلوون، المقدمو، الدار التونسية للنشر، 1984.
2- ج. لابوف، حضارة العرب، دار الفكر العربي، بيروت.
3- جورج شهلاء، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1976.
4- سامسون، المدارس اللسانية، التسابق والتطوّر، ترجمة محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، 1997.
5- تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.
6- تشومسكينؤام، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة حمزة الميني، دار توبقال، ط1، 1990.
7- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1971.
8- شوقي جلال، الأصوات والإشارات، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1972.
9- شحادة الخوري، واقع اللغة العربية عربيا ودوليا، مجلة التعريب، العدد 21، 2001.
10- شفيقة العلوي، في المدارس اللسانية الحديثة – التنظير – المنهج والإجراء، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013.
11- فاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1968.
12- عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1988.
13- علي محمد رحومة، مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي، الجامعة المغاربية، طرابلس، ط1، 2007.
14- عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1960.
15- عبد الحميد يونس، مجتمعنا، دار المعارف، القاهرة.
16- عبد العزيز شرف، اللغة العربية والفكر المستقبلي، دار الجيل، بيروت.
17- لويس كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتين، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2009.
18- محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000.
19- محمد أحمد السيد، اللغة العربية وتحديات العصر في التعريب، مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة، 2008.
20- محمود السيّد: اللغة العربية واقعا وارتقاءً، وزارة الثقافة، دمشق، 2010.
21- مجموعة مؤلفين: اللّسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات، الوحدة العربية، بيروت، 2010.
22- مصطفى صادق الرافعي، من وحي القلم، دار المعارف، مصر، ج3.
23- مصطفى الشهابي، تأثير العرب والعربية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، 1963، المجلد 26.
24- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، 1980.
25- نقولا زيادة، العروبة في ميزات القومية، دار الثقافة، بيروت، ط5.